

عوامل تغيير الفرد والمجتمع



«إنَّ العيب فينا لا في غيرنا، وهذا ما أوصلنا إلى هذه المنزلة والحل بين أيدينا، ولكن عندما نعدد العلل، لا ندخل أنفسنا فيمن تفتك بهم هذه العلل، وعندما نعدد الواجبات لا ندخل أنفسنا فيمن يجب عليهم النهوض بهذه الواجبات».

شروط التغيير:

إنَّ من أراد أن يغير الواقع الذي نعيشه سواء على مستوى نفسه وأسرته أم على مستوى جماعته ومجتمعه الكبير يجب أن يحيط علماً بسنن التغيير، فالمقدمات السليمة لابدَّ وأن تعطي نتائج سليمة، فإذا ما رأينا خللاً في وضعنا الاجتماعي الذي هو نتيجة لأوضاعنا النفسية ولأفكارنا، فلا بدَّ أن نراجع ونعيد النظر فيها، فلا بدَّ من معرفة سنن التغيير لما بالأنفس كما أنَّه لابدَّ من معرفة ما الذي ينبغي أن نغيره، من الأوهام وما الذي ينبغي أن نثبته من الحقائق، ومعرفة من هؤلاء الذين ينبغي أن نجرى على ما بأنفسهم هذا التغيير وأن اختلفت معادتهم الشخصية، إذ أنَّهم مشتركون في أصل البلاء، فهذه المعرفة المفصلة أمر لابدَّ منه للبدء في أيَّة عملية تغيير جاد.

عوامل التغيير:

إنَّ سنن التغيير وعوامله عديدة يصعب حصرها في مقال واحد وسوف القي الضوء على بعض منها:

2- اعمل من خلال تنظيم يحدث التغيير

3- خطط عملك ولا تكن فوضويا

4- استغلال طاقات أفراد الجماعة حسب ميول الفرد

5- كن قدوة واجهر بالإسلام

6- اترك الأوهام فإنها خداعة

7- دون الفكرة وسارع في تنفيذها

8- بالصبر تنمو الحياة

9- نفسك ابدأ بها.

1- ثق بنصر الله وتوكل عليه:

إنَّ كلَّ عمل مرتبط بالله قوي يستمد قوته من قوة ملك السماوات والأرض، وإذا اخلص العبد عبادته وعمله لله وجده معه في كلِّ حركة وفي كلِّ سكنة، ووصل إلى مرحلة كنت يده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه... وهنا يستعلي المؤمن على هذه الجاهلية. فمهما بلغت قوتها وجبروتها فهي إلى قوة الله لا شيء... لا شيء تماماً "ولذلك فإنَّه لا ينبغي لأحد يواجه الجاهلية بالإسلام أن يظنَّ إنَّ الله تاركه للجاهلية وهو يدعو إلى أفراد الله سبحانه بالربوبية. كما إنَّه لا ينبغي له أن يقيس قوته الذاتية إلى قوى الجاهلية فيظنَّ إنَّ الله تاركه لهذه القوى وهو عبده الذي يستنصر به حين يغلب فيدعوه (أَنرِي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) (القمر/ 10).

إنَّ القوى في حقيقتها ليست متكافئة ولا متقاربة.. إنَّ الجاهلية تملك قواها.. ولكن الداعي إلى الله يستند إلى قوة الله... والله يملك أن يسخر بعض القوى الكونية - حينما يشاء وكيفما يشاء - فكن على ثقة بنصر ربك، واترك وساوس النفس والشيطان، وتذكر إنَّ الذين فتحوا العالم في يوم من الأيام كانوا حفاة رعاة بعيدين كلَّ البعد عن تكنولوجيا السلاح في عصرهم وزمانهم ولكنهم حازوا على تكنولوجيا الإيمان والشفقة التي لا تتزعزع بالله فأيدهم ونصرهم... فارفع شعار "الله أكبر" وكن في همة الشاعر عمر بهاء الدين الأميري:

الهول في دربي وفي هدفي *** واطل أمضي غير مضطرب

ما كنت في نفسي على خور *** أو كنت من ربي على ريب

ما في المنايا ما احاذرها *** الله ملاء القصد والارب

2- اعمل من خلال تنظيم يحدث التغيير:

إنَّ العمل الفردي مهما بلغت قوته لا يساوي شيئاً أمام جماعة منتظمة تستغل كلَّ طاقة من طاقات أفرادها، إذ أنها تعمل بعدد العقول المنتظمة معها... وهذه سنة الله وإرادة الله في هذه الدنيا...

"إرادة" هي الفاعلة في النهاية وبدونها لا يبلغ الإنسان بذاتها شيئاً، ولكن هذه الإرادة تعين من يعرف طريقها ويستمد عونها ويجاهد في أن يبلغ رضاه" ومعرفة طريق هذه الإرادة سهل... إنّه التحرك في هذا المجتمع من خلال عمل منظم تحت جماعة منظمة... "والأمر كله هو أمر العصبة المؤمنة التي تضع يدها في يد الله... ثمّ تمضي في الطريق، وعد الله لها هو واقعها الذي لا واقع لها غيره، ومرضاة الله هي هدفها الأوّل وهدفها الأخير. وهذه العصبة هي التي تجري بها سنة الله في تحقيق منهج الله، وهي التي تنفض ركام الجاهلية عن الفطرة، وهي التي يتمثل فيها قدر الله في أن تعلو كلمته في الأرض ويتسلم منهجه الزمام".

3- خطط عملك ولا تكن فوضوياً :

"وماذا علينا نحن المسلمين ونحن نرث أخطاء لها عدة قرون أن نضع خطة بعيدة الأمد لكي نتخلص بها من هذه الأخطاء، ولكي يشعر أبنائنا أنهم يحملون عبئاً مع الذين وضعوا الخطة"... إنّها سنة من سنن التغيير... برمجة العمل إلى مراحل وأهداف ووسائل... ولكن كيف ترسم الخطة؟

أوّلًا: حدد ما هي المشاكل والعوائق...

ثانيًا: حدد حلولاً مناسبة لهذه المشاكل والعوائق.

ثالثًا: على ضوء الإجابة السابقة حدد أهدافاً تريد أن تصل إليها خلال سنة أو فترة محددة.

رابعًا: ارسم وسائل لتحقيق الأهداف السابقة فعلى سبيل المثال: ان كان هدفك "جمع مبالغ لبناء مسجد" تكون الوسائل:

أ- جمع تبرعات من البلدان الإسلامية.

ب- طباعة منشورات وحث على التبرع في البلد الذي سيبنى به المسجد.

ت- بيع بعض المواد ورصد ريعها لصالح المسجد... وهكذا...

خامسًا: تقويم ومتابعة تنفيذ الخطة بعد فترة مناسبة من بدء التنفيذ لمعرفة الثغرات في التنفيذ، والخطوات السابقة صالحة لتنفيذ أعمال الجماعة الإسلامية بالإضافة إلى أنّه بالإمكان على المستوى الفردي أن يحدد كلّ منا أهدافه والحلول لعيوبه أو الأمور التي يريد الوصول إليها... إذن لابدّ من تخطيط العمل ومتابعته، لأن عدم مناقشة ومراجعة الأمور ترتب النتائج على المقدمات أو المسببات على الأسباب تحت شعار "ليس علينا إدراك النتائج" والاستسلام لها بهذه السهولة يفقدنا عملية الصواب والتصويب التي لا تتحمل إلاّ بالعودة إلى معرفة الثغرات التي كانت سبباً في تخلف النتائج واستدراكها، (قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) (آل عمران/ 165).

4- استغلال طاقات أفراد الجماعة :

وضّحت أنّ العمل من خلال جماعة يحقق ويقرب طريق النصر بإذن الله وعلى قيادة هذه الجماعة دور كبير في استكشاف الطاقات والمويل الموجودة لدى الأفراد فتوظف كلّ طاقة حسب احتياجاتها. "ولن يتحقق الإعداد المطلوب ان لم تُستَجَسَّ طاقات الإنسان المسلم كافة، ويعاد تشكيل عقله، كما أراد له الإسلام أن يكون ليتمكن من أداء دوره في هذه المهمة الكبيرة" وعلى هذا فعلى قيادة العمل تحريك الأفراد في العمل الإسلامي الكبير من خلال ما أودعهم الله من قدرات وامكانيات، وكلّ فرد في الجماعة لا يخلو من قدرة حتى الأعمى العجوز، حيث عمد أحد الصحابة وكان أعمى كبيراً في السن للدخول في أحد المعارك فلما قيل له أنك معذور رد قائلاً: انني أريد ان أكثّر سواد المسلمين!... فيا له من فقه عظيم لم يأخذ الرخصة ولو أخذها لكان معذوراً... ولكنها همة العمل واخلص النية، وتحريك طاقة وقدرة وجدها في نفسه فابى أن يميته!!... وعلى قيادة العمل أن تضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فإن مواهب الأفراد عديدة.

إنَّ الناس تتأثر كثيراً بالرجل العامل الصامت الذي يعمل كثيراً ويتكلم قليلاً أكثر من الرجل الذي يتكلم كثيراً ويعمل قليلاً... فعمل الإنسان هو التطبيق العملي لما يقول فيسهل أخذ الناس بما يقول، وتترك حرارة العمل أثرها الجاد في تحريكهم نحو الخير والصلاح بل يجد الإنسان حينما يتحدث عن خلق هو يعمل به أن هناك حرارة في الكلام قلما يجدها أن حدَّث الناس بأمر هو لا يعمل به... والناس في المجتمع يتأثر بعضهم ببعض بالأفعال والأعمال لا بالأقوال يوضح سيد قطب هذا المعنى فيقول: "... وانها حقيقة تلقى على البشر تبعة ثقيلة، فقد قصت مشيئة الله وجرت به سنته أن تترتب مشيئته بالبشر على تصرف هؤلاء البشر وأن تنفذ فيهم سنته على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم" والنص صريح في هذا لا يحتمل التأويل وهو يحمل كذلك - إلى جانب التبعة - دليل التكريم لهذا المخلوق الذي افترضت مشيئة الله أن يكون "هو بعمله أداة التنفيذ لمشيئة الله فيه" وعلى هذا كان صحابة المصطفى (ص) فقد كانوا مصابيح الهدى لا ينتقل أحدهم من آية إلى أخرى يحفظها حتى يطبق ما حفظ، "وعلى ذلك لن يتغير وضعنا من جديد ولن يحدث التحول الجذري الحقيقي المنشود في حياتنا، ولن نأخذ مكاننا في قيادة أمتنا وقيادة العالم، إلا أن نصدق بانفسنا إلى مستوى من حملوا الرسالة أوّل مرة إلى مستوى أصحاب الرسول (ص) إيماناً وصدقاً وعلماً ووعياً وجهاداً وتضحياً".

إنَّ الوهم من أشد عوائق تغيير المجتمع، اعني بذلك على سبيل المثال اعطاء العدو حجماً أكبر من حجمه وقوة أكثر من القوة التي يمتلكها وقدرة خيالية على الإحاطة والدراية... إلخ

إنَّ على المسلم الواعي الانتباه من منزلق الوهم فلا يعطي الأمور أكبر من حجمها الحقيقي ولا يكون ذلك إلاَّ بعدم تصديق كلِّ ما يقال والتثبت مما يكتب ويقال وتحليل ذلك تحليلاً دقيقاً "فإن كثيراً مما نقوم به تجاه الغير مبني على ظنون ويبقى سلوك الإنسان بوهم من الأوهام إلاَّ أنَّهُ يصدق كأنَّهُ حقيقة"، فإنَّ الوهم عظيم الاستيلاء على النفس، ولذلك ينفر طبع الإنسان عند المبيت في بيت فيه ميت فتنبه لهذه المثيرات" فعلى الجماعة الإسلامية الاستفادة من مرصد الوهم النفسي واستثماره إذ أن عدو الحركة الراصد لها لا شك أنَّهُ يعطيها - بسبب الوهم - حجماً أكبر من حجمها وقوة أكبر من قوتها فإذا استطاعت الجماعة الإسلامية التحرك في المجتمع من خلال هذا المنظار فإنَّها ستحقق أهدافها بصورة أسرع "يذكر راسل: أنَّ الخوف الناشئ من الأوهام المتسلط على عقول ساسة العصر الذين يشرفون على هذا العالم يمنعهم من الخروج عن المشاكل الوهمية المحيطة بهم والتي تعرضهم لأخطار متزايدة على مرَّ الزمن". ▶